صهد وحمى الهجرة

شكاة ونجوى ...

[مهداة إلى الرجل الكبير الذي
أخذ بيدي في الحياة ... إلى خال]

للأستاذ شكري فيصل

— ١ —

... متى يا رسول الله متى ... تكتحل عيناي بالتطلع إلى مقامك الكريم في أرض النبوة الطاهرة ... ويقدر لي أن أقف بين يديك : أقرؤك السلام ، وأبثك الحنين ، وأفنى في لثمات أعتابك ؟ ...

لقد طال بي الشوق ، يا رسول الله ، إلى التراب الذي لامس قدميك ، والأرض التي وطأت ركائبك ، والجو الذي نثرت فيه النسيم والسلام ... فمتى يا رسول الله ... متى ؟ ...

إن الحنين ليحدوني ، وإن الحب ليهزني ، وإني لأجد في قلبي النور ، وفي عيني الضياء ، وعلى شفتي النفحات الحلوة ... حين أراني في مقامك يا رسول الله : هادئ النفس ، مطمئن الخاطر ، كما يطمئن الإنسان إلى خيالات الأمل ، ويهدأ إلى صور الخير ، ويهيم في أودية من الجمال ...

... متى يا رسول الله : ينسم عبق مكة ، فأنتشي بهذا النسيم ... وأعب منه ملء رئتي ، وأذكر معه هذه البلاد التي كانت مثوى الضلالات ، ففاضت بالنور ... وكانت مثابة العصبيات ، فتدفقت بالتسامح ... وعاشت أبداً في ظلام الجهل وحماقة الهوى وسلطان الغرض ... ولكنها بدلتها أنوار المعرفة ونعمة العقل وزينة العلم ...

... إني لتستثيرني الذكرى يا رسول الله ... يا أسمى من كل إنسان ، وأرفع من كل بشر ، وأكرم من كل مخلوق ... فأصغت لنجواها العذب ، وأنصت لحديثها الرطب ، وأهيم في دنياها الرفافة التي تموج بالأمان ، وتزدهر بالسلام ، وتتسم بالحب ... فمتى يا رسول الله ... متى أمرّغ خدي بأعتابك الطهور وأقبل بشفتي أرضك الحلوة ، وأغيّب وجهي في أطراف الستائر التي ترف حواليك رفيف الأمل في القلوب الآيسة ... كأنما تنعش فيها الموات ، وتبعث فيها الحياة ، وترد عليها التحية ...

— ٢ —

... متى يا رسول الله ... يظلني المسجد النضر ، لأحدثك حديث هؤلاء الذين تركتهم على بيضاء نقية لا يضل فيها السالك ولا يحار فيها السارى ؛ فإذا هم قد ضلوا الطريق ، وتنكبوا السبيل وتاهوا في بيد مظلمة ... لا يجدون المخرج ، ولا يلقون المنفذ ، ولا تتراءى لهم أمارات الهداية ...

هؤلاء ، يا رسول الله ، الذين خلفت فيهم القرآن ، وأوضحت لهم الغاية ؛ وحلقت بهم في أجواء السمو ، وآفاق المجد ، ودنيا السيادة ؛ قد ذلوا ... فضعفوا عن الحق ، وسكتوا عن الواجب ، واستخذوا لإرادة الناس الحقيرة . واطمأنوا إلى هذا الاستخذاء وهذا الضعف — فإذا قلوبهم خلف ، وإذا آذانهم صم ، وإذا الدعوات التي تستمد منك قوتها ، وتستلهم من وحيك نورها ... لا تفعل فيهم إلا ما تفعل النسمات الطائفة في الصخور القاسية !

... إن الألم ليضمر النفوس العامرة يا رسول الله فتقعد عن العمل ، وإن اليأس ليملأ القلوب النقية ليفسد عليها الأمل ؛ وأن المحبات لتترى ... فمن يذكرنا مواطن العظمة في حياتك وسر الخلود في دعوتك ، وجمال الصبر في جهادك ؟ من يبث ذلك في قلوبنا يا رسول الله ؟ ... من ينثره في أذهاننا كما تنثر السماء سحب الرحمة ؟ ... من يقول لنا هذا هو الطريق ... بعد أن باعدت بيننا وبينك ضلالات فيها السحر ، وصرفتنا عنك فتن فيها الإغراء

... أين أنت يا رسول الله ، لتشهد المسلمين اليوم وقد نكبوا

أول النهار ، وغديته تغذية أطعمته في ذلك الوقت وفي الغداء والعشاء غذاء [1] ...

١٧ — (ص ٣٣٤ ، ٣٣٥) ... وجعل ينادي : أبا عدي أقر أضيافك ...

... فقال : إن حاتماً جاء في النوم فذكر لي قولك وأنه أقراك وأصحابك راحلتك

قلت : أبا عدي ، إقر أضيافك ، وأنه قراك [2]

قرى يقرى (كرمى يرمى) قِرى و قَراء . وأقراه طلب منه القرى

* * *

(١) الغداء كالماء ما به نماء الجسم وقوامه (القاموس)

(٢) في خزانة البغدادي : ... ويقول : القرا ... وزعم أنه قراكم بناقته ...

قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

بالفرقة ، وابتلوا بالنزاع فإذا هم لا يد فى حكم ، ولا شأن فى سيطرة ، ولا رأى فى مشورة ، يعيشون فى هامش الحياة كما تعيش النبتة الصغيرة فى ظل الشجرة الضخمة فى جو معتم من الولاء ، لا يعتد لها غصن يقبّل النور ، ولا يشتد لها ساعد يحيي السماء !

أين من يقول لهؤلاء المسلمين يارسول الله إنك كنت تجاهد الحياة التى تحمل الضعف ، وتستهجن الصمت ، وتكره الهدوء ؟

أين من يقول لهم إن هذا الهدوء الذى يطمئنون إليه أول نذر الموت ، وأدلة الفناء

لشد ما نحتاج إلى هديك يا رسول الله — لندرك أن الدنيا ليست دنيا الشهوات التي تقبل عليها ، والغايات التى نسعى إليها ، والمنافع التى نتكالب فى سبيلها — ولكنها دنيا الحياة الحرة التى لا تستعبد فيها نفوس ، ولا تحنى رءوس ، ولا تبذل كرامات .

— لقد ضل القوم يا رسول الله — وزين ذلك فى قلوبهم — فمن يكشف لهم عن وضح الحق ؟... من يرفع عنهم حجب الضلالات ؟ ومن يصرف هذه السحب القاتمة من فوق رءوسهم ، ومن بين أيديهم تشوه فيهم العقيدة ، وتفسد عليهم الإيمان

— ٤ —

يا رسول الله إلى الناس ... لقد عمى الناس عن الخير ، لا يفقهون معناه ولا يحسون جماله ، وإنما يتخبطون فى ظلمات الشر وفى دياجير الخصومات . فى أيديهم حراب ، وفى أيمانهم قذائف ، وعلى وجوههم أقنعة ... يتراشقون السهام ويتبادلون القذائف ، ويصطرعون فى هذه الكهوف المعتمة من المادة ، وهذه الأجواء الضيقة من الطيش ... فهلا انتبه أنصارك يا رسول الله فى هذه الفترة من الزمن ، فانتهزوا الفرصة البارقة ، ينشرون أردية السلام ، ويمشون دعوة الحق ، ويهتفون بالصيحة الكبرى !...

... حبذا يا رسول الله ... حبذا الساعة التى ينشدون فيها نشيد اليقظة ويرددون صرخة الحق ، ويحققون أروع ما جئت به من مبادئ السلام ، وتتموج على حاشية الأفق راياتهم التى تذكر الناس أكرم ما دعوت إليه وما جاهدت من أجله ... وتتلألأ فى صفحة السماء آياتك النر ، تهدى السالكين ، وتأخذ بيد الحيارى ، وتزرع فى النفس معانى الحب والطمأنينة والنبطة

— ٥ —

ألا هل فى قوانا طاقة ، وفى وسعنا جهد ... فنحمل هذا العبء يا رسول الله ؟ ونهض بهذه الصرخة ، ونوقد المصباح :

زيته من دمائنا ، وذبالته من نفوسنا ؟ ونجعل من أجسامنا مغرز الراية ومغرس العلم ؟... وهل فى أعمارنا آجال فنرى هديك فوق كل هدى ، وكلمتك فوق كل كلمة ، وتنعم أعيننا بالإنسانية المطمئنة إلى الحياة الآمنة التى تختطها ، والسبيل السوى الذى ترسمه ؟...

... إن العالم يا رسول الله ليموج فى حالك من الظلمة ، وإنه ليسبح فى جاهلية من الهوى ... كهذه الجاهلية التى بددت ظلماتها ، وكشفت غياهبها ، ونشرت فى جنباتها الهداية ... فهلا أهبت بأنصارك ليتأسوا بك ... وليهاجروا إليك ... وليبدءوا دعوتهم بمثل ما بدأتها من قوة وعزيمة وجلد ؟ !

... ركب الإنسانية يستغيث بك يا رسول الله إلى الناس ... فاسأل الله له السلامة فى مهمه التراتر ، والخلاص من ربقة الأهواء ، والنجاة من حرب الغل والضغائن ... وخذ بزمامه إلى ساحل النجاة ، فقد سئم صراع الموج ، وزمجرة الغضب ... وضاق بفوضى المذاهب ، وخداع المظاهر ، وتناحر الآراء . وأسلم وجهه إلى الله . إلى الله وحده يؤمن به ، ويعمل له ، ويتكل عليه

... هذه حالنا يا رسول الله ... فمتى ينبثق الفجر من خلال الضباب الكثيف ، ومتى تبصر العين وجه الحياة : لا تغطيها الدموع ، ولا تخدعها المظاهر ... ومتى يجد المدلجون فى سفين الزمن شعاعات الرحمة وأنوار الهداية ؟

— ٦ —

إن الحديث يا رسول الله ليفجر ينابيع الألم ، وإنه لينشر صفحات كابية : فى إطارها سواد ، وفى جنباتها حزن ، وفى رحابها تاريخ يشهد بالضعف والخور . فما أحوجنا أن نهاجر إليك فنملأ صدورنا من روحك الندى ونظهر عزائمنا بسبقك المطرى ، وندفع هذا الصدأ الذى يأتكل نفوسنا بالتمرغ فى أعتابك الطاهرات

إنى لأرثو يا رسول الله إلى هذه الساعات ؛ وإنى لأهيل عليها الصور ، وأريق عليها الزخارف ... فلا أبلغ بها معشار ما يكتنفها من روعة ، وما يحوطها من جلال ... فمتى أشهد هذا الجلال ، فى مسجدك المتألق ، وروضتك الطاهرة ، وضريحك الحى ؟ !

آه يا رسول الله ... ما أشد حنينى إلى نسمات الصحراء ، ولفحات الشمس ، وجرعات زمزم

والسلام عليك يا سيدى يا رسول الله

شكرى فيصل

حكم استئنافيا جنرم عبد المعبود عبد النبى البقال بمصر الجديدة بالقضية ٦٨٨٢ بجلسة ٧ سبتمبر سنة ٩٤٠ جنيها ونصف ليبه كبريتا بأزيد من التسعيرة